التلفزيون والطفل

هل سيتحول التلفزيون إلى مدرسة موازية ؟

د. محمد شطاح

جامعة عنابة

أدى انتشار التلفزيون وتطور تكنولوجيات الاتصال، وتوغل هذه الوسيلة في حياتنا اليومية إلى جدل واسع حول دور التلفزيون في مجال التربية والتعليم.

الفريق الأول يرى أن التلفزيون بإمكانه المشاركة إلى جانب المدرسة في التربية والتعليم، وأن هذه الوسيلة قد تفوق المدرسة من حيث قدرتها على التغيير وبناء ثقافة الطفل اليومية، وحجة الفريق في ذلك أن ما حققه التلفزيون كإحدى وسائل الإعلام الجماهيرية المعاصرة من تغيرات جذرية في بنية الحياة اليومية في ظرف عشرين سنة، لم تستطع المدرسة أن تنجزه خلال عشرة قرون من التواجد.

في حين ينتقد الفريق الآخر وسائل الإعلام ومنها التلفزيون، ويرى أنها تعمل على نشر الذوق السقيم وتعميم التطابق الثقافي وتدعيم السلبية عند عرض الحقائق، بالإضافة إلى الهبوط بالحياة الثقافية إلى مستوى التسلية الجوفاء، والتلفزيون في نظر هؤلاء مسؤول عن فشل التلاميذ في التحصيل الدراسي وذلك مرتبط لدى نسبة كبيرة منهم بمدى تعرضهم لوسائل الإعلام وفي مقدمتها التلفزيون.

ونجد فريق آخر يقف وسطا بين الرأيين، ويؤكد أن التلفزيون والمدرسة يكملان بعضهما البعض، فهذه الوسيلة (التلفزيون) تؤثر إيجابا على الأطفال من حيث تفتح قدراتهم في مجال التحصيل الدراسي، ويضيف أن التلفزيون والمدرسة يرميان إلى غايات مختلفة إلا أنها ليست متعارضة.

ضمن هذه الآراء تسعى هذه الورقة إلى أن تقدم مقاربة إعلامية في الموضوع تسعى من خلالها ومن خلال الدراسات والبحوث السابقة إلى البحث في طبيعة علاقة التلفزيون بالمدرسة، وفي تأثير الوسيلة على الطفل، وبخاصة في ظل التطور الهائل في مجال وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون، الذي بات يزاحم المدرسة في العديد من وظائفها، وهو أمر يجعلنا نتساءل عن مستقبل هذه العلاقة، وعن إمكانية أن يتحول التلفزيون إلى مدرسة موازية، وما السبيل إلى ترشيد هذه العلاقة خاصة في بيئتنا العربية والجزائرية على الخصوص، وقد ارتأينا مناقشة ذلك ضمن المحاور الآتية:

- التلفزيون والوضعية الراهنة.
- التلفزيون في المدرسة (وسيلة بيداغوجية).
- بعض التجارب.
- التلفزيون خارج المدرسة من خلال القنوات المتخصصة والبرامج الموجهة للأطفال.
- مستقبل المدرسة في ضوء الإنتشار الواسع للتلفزيون.

الوضع الراهن للسمعي البصري والتلفزيون:

لم تشهد وسيلة من وسائل الإعلام الجماهيرية تطورا سريعا كالتطور الذي شهده التلفزيون، إذ تمكنت هذه الوسيلة وفي ظرف وجيز من الانتشار والاستحواذ على جماهير واسعة الأمر الذي حدى بأحد خبراء الاتصال إلى وصف هذه الحالة بالقول : "إنه جمهور مهول، وهو من حيث حجمه الكلي ومن حيث نسبته المئوية من السكان يعد ظاهرة اجتماعية، لا سابق لها في التاريخ".[1]

---

[1] إدوارد واكين: مقدمة إلى وسائل الاتصال. ترجمة وديع فلسطين. مطابع الأهرام التجارية. القاهرة 1981 ص 117.

كما لم تتأخر أدبيات الإعلام في تقديم أوصاف وأسماء لهذا الصندوق الزاخر بالأسرار، فقد وصفه رئيس لجنة المواصلات الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1961 "نيوتن مينو" بالقول: التلفزيون "متاهة واسعة"[1] ووصفه مارشال ماك لوهان بأنه "العملاق الخجول" "Le géant timide"[2] ، وهو وصف استعاره من Edith Efron في مقال نشر عام 1963.

والحقيقة أن التلفزيون يتطور بشكل سريع جدا، وهذا التطور مس الوسيلة في الشكل والمضمون.

ففي الشكل فقد تطورت الوسيلة في الصوت والدبلجة والحجم والإخراج ويمكن تحديد معالم هذا التطور من اتجاه التلفزيون اليوم إلى أن أصبح وسيلة تتميز بالتفاعلية وعدم الارتباط بعنصر الوقت، والتوجه نحـــو الشيوع والانتشار[3] أما على صعيد المضمون فقد تعددت الرسائل وتنوعت المضامين وتعددت القنوات ضمن خاصية متفردة للتلفزيون عن باقي الوسائل، وهي انفراده بثلاثية مركبة وفريدة وهي نص + صورة + صوت.

وقد أفرز هذا التطور واقعا إعلاميا جديدا يمكن تحديد بعض ملامحه في الجوانب الآتية:

1- التزايد المستمر لدور وسائل الإعلام في حياتنا اليومية وخاصة التلفزيون.

2- التطور الهائل في تكنولوجيات الاتصال والمعلومات ممثلة على الخصوص في شبكة الانترنيت وأجهزة الإعلام الآلي المتعددة الوسائط.

3- تنامي الاستثمارات في مجال الاتصال بشكل لا سابق له في التاريخ.

---

(1) إدوارد واكين: مقدمة إلى وسائل الاتصال. ترجمة وديع فلسطين. مرجع سابق، ص 120.

(2) Marshel Mc Luhan. Pour comprendre les médias. Edit Mme/seuil. Paris 1976. p : 352.

(3) د. عبد الله بوجلال، وآخرون: القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري، دار الهدى، الجزائر.

4- الاتجاه نحو الخوصصة في صناعة الاتصال والخدمات الإعلامية ومنها الخدمة التلفزيونية.

5- تخلص وسائل الإعلام من الرقابة خاصة فيما يتعلق بالبرامج ضمن دعاوي الديمقراطية وحرية التعبير.[1]

أيضا فإن التلفزيون أصبح اليوم أداة تعمل ضمن مناخ دولي تهيمن عليه دعاوى المنظمة العالمية للتجارة بضروة تحرير قطاع الإعلام وخاصة السمعي بصري وضمن مقاربات ذات علاقة بالعولمة وما تتضمنه من آثار على مستقبل الأطفال ومستقبل الذاتية والهوية الثقافية من خلال البرامج الموجهة للطفل والتي تجوب العالم متحررة من كل القيود. وقد ساعد على ذلك انتشار القنوات الفضائية وتعددها، وانتشار وسائط جديدة تساعد على التخزين والبرمجة والاستخدام عند الحاجة، خاصة عن طريق شبكة الأنترنيت والأسطوانات الممغنطة وأجهزة الفيديو وغيرها من الوسائل.

إن الحالة الراهنة للإعلام التلفزيوني وخاصة الموجه للطفل تكشف عن توجه جديد يسعى من خلاله مناصري أو أنصار العولمة إلى إعادة تشكيل العالم على المستوى الثقافي والتربوي ضمن استراتيجية بعيدة المدى، فقد كشف **"نيلسون ثال"**[2] أحد تلاميذ **"مارشال هاكلوهان"** هذه الأبعاد عندما أكد أن الهدف غير المعلن من شبكة الأنترنيت هو جعل العالم كله يفكر ويكتب ويفعل كما يفعل سكان أمريكا الشمالية.

---

[1] د. ليلى عبد المجيد. العلاقة بين الأطفال العرب والتلفزيون مجلة الطفولة والتنمية. العدد 6، مجلد 2، صيف 2002، القاهرة، ص 150.

[2] جراهام طومسون: مقدمة. تحديد موقع العولمة. المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ترجمة بهجت عبد الفتاح. مركز المطبوعات. اليونسكو. يونيو 1999، ص 160.

نعتقد أن التلفزيون يوظف ضمن نفس الهدف والغاية وقد نبه التيار الرافض للعولمة إلى حضور الظاهرة باعتبارها حالة من الأمركة Américanisation. فالعولمة تعني "الأمركة بكل وضوح" أو هي "تمديد التدويل تحت مسمى آخر"[1]، وتوظف في سبيل ذلك وسائل الإعلام وفي مقدمتها الوسائل السمعية بصرية ومختلف محتوياتها.

لقد نبهت إلى مخاطر الظاهرة البلدان الأوربية والصناعية بصفة عامة، ففي تقرير صادر عن اللجنة الملكية الكندية من عام 1984 أشار إلى خطورة الغزو الإعلامي الثقافي الأمريكي لهذا البلد المجاور، وأدان التقرير الآثار الناجمة عن هذا التدفق الذي يعمل في نظر التقرير على "زعزعة النسيج القومي للمجتمع الكندي" من خلال ثقافة العنف والتفسخ الأخلاقي، وخلص التقرير إلى القول "إننا بحاجة إلى بديل من طوفان المسلسلات الأمريكية التي تبث في مجتمعنا وتشوه ثقافتنا القومية وتحور قيمنا الاجتماعية والعائلية".[2]

وقد ازدادت هذه الموجة اتساعا في السنوات الأخيرة خاصة بعد تبوء الولايات المتحدة الأمريكية مكانة القيادة للنظام العالمي الجديد، وسيطرتها على مختلف قطاعات صناعة وتسويق الإعلام.

الحالة الأوربيـــة

لقد نشرت مجلة "لوموند للتربية والثقافة والتكوين" في عددها الشهري من سبتمبر 1997 دراسة لـــ Claude Michel, Aline Pailler تحت عنوان "انتفاضة أوربا"[3] جاء فيها أن أوربا القديمة مهددة بشكل لا سابق له في التاريخ في هويتها

---

(1) د. مصطفى عبد الغني: الجات والتبعية الثقافية. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1999، ص 72.

(2) فكتور سحاب. أزمة الإعلام العربي الرسمي. دار الوحدة. بيروت 1985، ص 33.

(3) Aline Pailler, Claude Michel : l'enlèvement d'europe. Le monde de l'éducation, de la culture et de la formation. Septembre 1997, N°251. p.37.

من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في المجال الإعلامي والثقافي، ويختفي التعجب إذا استعدنا ما قاله Z.Brezenski مستشار البيت الأبيض سابقا من أنه "مالم نتمكن من تحقيقه بواسطة السلاح سنحققه بواسطة الطرق السريعة للمعلومات" ويواصل التقرير "ماذا بقي لنا لحماية أو ضمان الهوية الثقافية لأوربا، إن الأمريكان يوفرون 69% من الأفلام المستوردة لأكثر من 80 قناة تليفزيونية يضمها الاتحاد الأوربي". وتنشر الدراسة الاستراتيجية المتبعة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية قصد بسط نفوذها على الفضاء الإعلامي الأوربي من خلال وثيقة للإدارة الأمريكية صادرة بتاريخ أفريل 1995 تحت عنوان " US Global Audiovisuel Strategy"[1] والتي تضمنت سبع توصيات، نوجز منها:

- تطوير إمكانيات الاستثمار للشركات في مجال الإعلام السمعي بصري في أوربا.
- تطوير التحالفات بين مختلف الشركات الأمريكية النشطة في أوربا.
- تجنب المناقشات أو عدم إثارة الموضوعات الثقافية خاصة في هذه القارة.

ومن هنا تسعى أوربا جاهدة لإنقاذ الهوية الثقافية الأوربية من المد الثقافي والإعلامي الأمريكي بمختلف الوسائل، ويتضح ذلك من خلال توحيد إقامة مشاريع ثقافية وإعلامية مشتركة مثل محطة أرونيوز "Euronews" الإخبارية ولا عجب أن نجد أوربا في مفاوضات "الغات" تتفق مع الولايات المتحدة الأمريكية على استثناء الجانب الثقافي إلى حين اتضاح الرؤية.[2]

ونعتقد أن البلاد العربية ليست بمنأى عما يشهده العالم من تطورات في المجال السمعي بصري وفي مجال البث التلفزيوني وخاصة البث الفضائي الوافد والذي يعمل من مجمله على تكريس المخاطر الآتية:

---

[1] Aline Pailler, Claude Michel : l'enlèvement d'europe. Op.cit. p.36.

[2] أرمان ماتلار : أصوات غير متساوية. رسالة اليونسكو. فبراير 1995، ص 10.

1- إشاعة قيم الاستهلاك الغربي.

2- فرض النموذج الثقافي الأورو-أمريكي.

3- ترسيخ قيم الإمتثالية.

4- القضاء على التنوع الثقافي للمجتمع.

وتكمن خطورة هذا الإعلام من كونه ينطلق من المعادلة الآتية التي توضح كيفية نجاح "والت ديزني" و"الماكدونالدز" في غزو الثقافة العالمية والتي وضحها Benjamr Borber في أن سبب نجاح استعمار "والت ديزني للثقافة العالمية يكمن في ظاهرة قديمة قدم الحضارة، إنها المنافسة بين الشاق والسهل، والبطيء والسريع، وبين المعقد والبسيط، فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو للإعجاب والإكبار، أما كل ثاني من هذه الأزواج فيتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا، إن ذزني وماكدونالدز وMTV تروج لما هو سهل وسريع وبسيط.[1]

هذه إذن الأوضاع الراهنة للتلفزيون على صعيد الوسيلة والتطورات التي شهدتها وعلى صعيد المضامين والرسائل التي تقدمها ضمن خارطة إعلامية دولية تتميز باتساع رقعة التفاوت وبتفاقم حالة الهيمنة، وبتوجهات جديدة تسعى إلى إعادة النظر في العديد من المنظومات منها المنظومة التربوية والتعليمية وعلى رأسها المدرسة من خلال إدخال التلفزيون والوسائل السمعية البصرية في مجالات التعليم والتربية. بل يسعى البعض الآخر إلى ضرورة مراجعة مفهوم المدرسة التقليدية ومناهجها في ظل التطور الهائل للتلفزيون وتنوع خدماته في مجال التعليم والتربية.

التلفزيون في المدرسة : وسيلة بيداغوجية

ليس هناك اختلاف بين المهتمين بوسائل الإعلام في مجال التربية والتعليم أو

---

(1) هانس بيترمارتن، هارولد شومان: فخ العولمة. ترجمة عدنان عباس علي. المجلس الوطني للثقافة، الفنون والآداب، الكويت 1998. ص: 43، 44.

بين الإعلاميين والتربويين من كون التلفزيون أداة ووسيلة بيداغوجية بإمكانها أن تضيف الكثير للقائمين على شؤون التدريس والتربية والتعليم.

لقد أكدت العديد من الدراسات والبحوث أن المدرسة لا يمكنها في أي حال من الأحوال أن تتجاهل فعل وأثر التلفزيون، وتستند في ذلك إلى ثلاث حجج نوجزها فيما يلي:

أولا: أن ما يعرضه التلفزيون من برامج ومعلومات هو في الغالب إحدى الموضوعات الرئيسية للمناقشات التي يشهدها الوسط التربوي وفي مقدمتهم التلاميذ. ذلك فإن العديد من البرامج التلفزيونية تعد مرجعية أساسية للعديد من الدروس التي يتم التعرض إليها في الفصل الدراسي.

ثانيا : إمكانية استغلال الصورة التلفزيونية كأداة بيداغوجية قوية في مجال الشرح والتفسير من قبل التربويين في الوسط المدرسي.

ثالثا : إن التنامي المتزايد لظاهرة التمدرس وامتداد سنوات التمدرس الإجباري أمر جعل القائمين على التعليم يفكرون في ضرورة أن يعاد النظر في طرق التعليم بالشكل الذي يمكن من تحديد التكاليف وتقليصها. واستخدام وسائط جديدة تحقق هذه الغاية، ومن غير شك أن التفكير في التلفزيون يزداد تعاظما قصد توظيفه ضمن هذه الوسائط.[1]

بعض التجارب

إن ما تجب الإشارة إليه في هذا الإطار هو أن استخدام التلفزيون في المدرسة أو التلفزيون التعليمي تجربة عملت بها العديد من الدول عند نهاية الستينات، وكانت الانطلاقة من بريطانيا حيث تعد تجربة "الجامعة المفتوحة" من أنجح الجارب في استخدام وسائل الإعلام الجماهيري في التعليم الرئيسي. وانتقلت التجربة إلى

---

(1) Jean–Pierre Dudezert : l'audio visuel pour l'école. Edit/ Elipses, Paris 1994. p : 3.

بلدان العالم الثالث ليستخدم التلفزيون في المدرسة كما كان الحال في السالفادور وفي الساحل العاج، فقد شرعت هذه الأخيرة ابتداء من عام 1967 في جملة من التدابير ترمي إلى تحويل التعليم الابتدائي تدريجيا إلى تعليم يعتمد في عمليات التلقين والتدريس على وسيلة التلفزيون، وذلك عن طريق عرض الدروس التعليمية على شاشات التلفزيون، وقيام المنشطين بعمليات الشرح والتفسير والتطبيق من خلال البرامج المعروضة على شاشة التلفزيون.[1]

وفي اعتقادنا أن التجربة لم تكن قاصرة على السالفادور وساحل العاج بل أن أدبيات التعليم عن طريق وسائل الإعلام زاخرة بالعديد من التجارب التي شهدتها الكثير من الدول في العالم الثالث، لكن الشيء المتفق عليه هو أن أغلب هذه التجارب كانت فاشلة، والسبب الرئيسي أن أغلبها لم تعمل بالنصيحة أو بالتحذير الذي قدمه أحد الخبراء والذي نلخصه في أنه "مهما ارتقت التكنولوجيا فلابد أن تظل أداة للتربية وتابعة لها وليس العكس".[2] والحقيقة أن أغلب هذه البلدان استخدمت هذه الوسيلة من باب التجارب ويمكن تحديد أسباب ذلك فيما يلي:

1- عدم ملاءمة التلفزيون لبيئة تعليمه (المدرسة) يسيطر عليها الكتاب المطبوع.

2- التلفزيون ظل لفترة طويلة يستخدم في مجال التعليم بطابعه السلبي كوسيلة إعلام أحادية الاتجاه بعيدا عن كل أشكال التفاعلية التي باتت تميز التلفزيون في الوقت الراهن.

3- اتساع الفجوة بين الإعلاميين والتربويين.

4- ضعف تدريب التربويين على الوسائل السمعية البصرية.

---

14 Louis Porcher : Vers la dictature des media. Edit. Paris 1983. pp :45, 46.

(2) د. نبيل عارف علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات. مطابع السياسة، الكويت 2001، ص 301.

5- اعتبار السمعي بصري وفئة التلفزيون أداة للتسلية وليس أداة للتربية والتعليم.

إن الفشل الحاصل في التجارب السابقة لا يعني التسليم بكون استخدام التلفزيون في المجال التربوي والتعليمي جهدا لا طائل منه بل بالإمكان ترشيد هذا الاستخدام وذلك من خلال الوعي بخصوصية الوسيلة التي يمكن أن نلخصها في كونها وسيلة خاصة لجمهور خاص (a Special Medium for a Special Audience) حسب تعبير Door Aimée[1].

التلفزيون خارج المدرسة أو المدرسة الموازية

كشفت الدراسات أن التلفزيون أصبح اليوم أكثر وسائل الإعلام جاذبية، وذلك من خلال قدراته على استقطاب حاستي السمع والبصر معا من خلال الصوت والصورة والحركة والألوان، وهي عناصر تستقطب أكثر فئة الأطفال.

بل أن هناك دراسات حددت وبطريقة كمية هذا التأثير، فالإنسان يحصل على المعلومات عن طريق الحواس الخمس:

75% عن طريق البصر.

13% عن طريق السمع.

6% عن طريق اللمس.

3% عن طريق الشم.

3% عن طريق التذوق.

وكشفت أيضا أن آثار التلفزيون تفوق آثار المدرسة بسبب أن الطفل أصبح منذ فترة طويلة يقضي وقتا كبيرا أمام شاشة التلفزيون، فالطفل يبدأ في الانتباه إلى التلفزيون ابتداء من سن السنة الثانية.[2]

---

[1] Door Aimée : TV and children, a special medium for a special audience, sage publication, London, 1986.

[2] عاطف عدلي العبد: مجلة الطفولة والتنمية، العدد 6، مجلد 2، صيف 2002، القاهرة.

ونقرأ في واقع الأمر أرقاما مذهلة عن هذه الحالة في العديد من الدراسات التي تناولت الموضوع.

ففي البلدان الصناعية تستهلك هذه الأخيرة كثيرا الصور التلفزيونية وتتراوح نسبة هذا الاستهلاك ما بين ساعتين وعشرين دقيقة في ألمانيا وثلاثة ساعات ونصف في بريطانيا وثلاثة ساعات في فرنسا. وتضيف إحدى الدراسات أنه في عام 1985 أن ما يزيد عن 45 مليون مشاهد تزيد أعمارهم عن 10 سنوات شاهدوا 35 مليار ساعة بث تليفزيوني.وفي عام 1990 ارتفع الرقم إلى 49.5 مليون مشاهد استهلك 54.1 مليار ساعة. وهذا معناه أن الحصة ارتفعت في حدود 10 سنوات حوالي 40%، وارتفع المعدل اليومي إلى 2.16 ساعة خلال عام 1991.[1] وهناك دراسات أشارت إلى أن نسبة 95% من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 8 سنوات و16 سنة يقبلون على مشاهدة التلفزيون و41% من هذه النسبة تشاهد برامج التلفزيون دون تدخل من الأولياء. وهي نسبة مرتفعة بعض الشيء وقد تترتب عنها آثار في مجال الخيارات تنعكس في سلوكات الأطفال بعد مدة، وتضيف الدراسة أن المعدل اليومي للمشاهدة للتلفزيون من قبل الأطفال من ساعتين إلى 3.30 ساعة[2]، رغم البدائل المتاحة في المجتمعات الصناعية لهذه الفئة من ألعاب ووسائل الكترونية لتمضية أوقات الفراغ.

وعموما فإن شريحة الأطفال من أكثر شرائح المجتمع تعرضا للتلفزيون وذلك من خلال القنوات المتخصصة والبرامج الموجهة للأطفال، ونحن هنا لا نتحدث عن مجمل البرامج.

لقد أصبح التلفزيون إحدى أهم الوسائل ملازمة للحياة اليومية للطفل وحل محل الحاضنة والأم والوالدين والمعلم، وأصبح بذلك إحدى أهم أدوات نقل المعرفة،

---

(1) Jean Pierre Dudezert : op cit. p : 46.
(2) Ibid : p 58.

وإحدى أهم الوسائل في تكوين صورة لدى الطفل عن العالم وفي تحديد سلوكاته، سواء فيما يتعلق بلهوه أو فيما يتعلق بإقباله على التحصيل والدراسة، ولم يعد في العديد من الحالات المعلم باعتباره المرشد للطفل فيما يقبل عليه من مصادر للمعرفة، بل باتت المشاهدة اليومية للتليفزيون هي التي توجه وتحكم في خيارات الطفل نحو المعرفة، في هذا الإطار يقول أحد الأطفال بالجزائر: "عبر الشاشة شاهدت العديد من البرامج الموجهة للأطفال، وكانت تعجبني تلك المنتجة من طرف ديزني "Disney"، وذات مرة وقع بين يدي كتاب يشمل كل المعلومات حول سلسلة الرسوم المتحركة ومنتجها وتاريخ أول بث لها، وكيف تمت عملية رسم شخصياتها واختيارها... إلخ، فأصبحت لدي خلفية عن عالم ولت ديـــزنـــي (Walt Disney) الذي يبهر الكبار والصغار معا.[1]

أيضا أكدت دراسة "**هالوران**" أن 97% من الأطفال في سن الحادية عشر الذين شملتهم الدراسة أعلنوا أنهم يثقون بالتلفاز كمصدر إعلامي أكثر من ثقتهم بأي مصدر آخر. ويضيف "**هالوران**" قائلا: وعندما سألنا هؤلاء الأطفال إذا سمعتم قصة من والدكم أو من مدرسكم أو من الإذاعة أو التلفاز فأية رواية تصدقون ؟ أجاب 54% من الأطفال أنهم يصدقون التلفاز.[2]

وباختصار فإن التلفزيون يؤثر في جمهوره من الأطفال أكثر من تأثيره عن الكبار لطبيعة مرحلة النمو التي يكون فيها الطفل أكثر قابلية للتعلم والتأثر بالإضافة إلى ما يتضمنه التلفزيون ذاته من إثارة تحفز غريزة الطفل على المشاهدة ومحاكاة ما يشاهد.

ضمن هذا المناخ الذي يتسم يتعاظم تأثير التلفزيون على الطفل وباتساع الأدوار التي تمارسها هذه الوسيلة من حيث توغلها إلى الجوانب التربوية والتعليمية

---

[1] سهيلة تاشي: أطفالنا بين القراءة والتلفزيون، مجلة الشاشة الصغيرة. العدد 203. ص 18.

[2] د. بلال العربي: قضايا في إعلام الطفولة. مجلة الطفولة والتنمية، العدد 6، صيف 2002.

للطفل والحلول محل المدرسة في مجال التلقين وتكوين المعرفة لدى هذه الشريحة من المجتمع، تعالت صيحات تنادي بضرورة الإبتعاد عن التعليم العام التقليدي وتحرير المدرسة، والتوجه نحو الوسائل السمعية البصرية وفي مقدمتها التلفزيون، ويقف وراء هذه الموجة كبار المستثمرين ورجال الأعمال ضمن حركة عالمية تسعى إلى تحويل التعليم إلى سلعة. وفي هذا الإطار ترى إحدى اللجان الأوربية التي تعمل في مجال التربية والتعليم والتدريب بأن "الوقت قد أتى للتعليم خارج المدرسة، إن تحرير العملية التعليمية الذي أصبح ممكنا سيؤدي إلى سيطـــرة مقدمي خدمـــة التعليـــم (Service de l'enseignement) الذين يتميزون بابتكار أكبر عن الهياكل التقليدية.

وتكشف إحدى جماعات الضغط ذات النفوذ التابعة لأصحاب العمل الأوروبيين وهي "المائدة المستديرة الصناعية" عن نواياها بشيء من الاستهجان كون أن أغلب البلدان الأوربية، تدمج المدارس في نظام مركزي عام تدبره البيروقراطية من شأنه إبطاء عملية التغيير أو تجعلهم غير متفتحين لطلبات التغيير من الخارج".[1]

وعموما، فإن حركة "التعليم المفتوح" أو "التعليم عن بعد" التي بدأت بالجامعات تتجه اليوم نحو المدرسة بفضل تطور وانتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كذلك فإن ميزانية التعليم التي تبلغ سنويا ألف مليار دولار في العالم تجعل المستثمرين يفكرون دون هوادة في فتح هذا القطاع أمام الاستثمارات من خلال استخدام الوسائط المتعددة كالأنترنيت والتلفزيون.

---

[1] نيكو هيرت: هل سيصبح التعليم سلعة تباع في السوق. رسالة اليونسكو. فبراير 2000، ص 14.

الخلاصـــة

من خلال ما تقدم يمكننا القول أن الوسائل السمعية البصرية يتعاظم استخدامها يوما بعد يوم وخاصة في مجال التعليم ونحن لا نرى في ذلك سوى خدمة للتعليم والطفل، إذا تم الاكتفاء باستخدام هذه الوسائط كأدوات دعم أو آليات بيداغوجية مساعدة في مجال التعليم. أما دعاوى تحرير التعليم والمدرسة والتعليم العام التقليدي فليست سوى رغبات أصحاب المال وكبار المستثمرين الذين يريدون فتح هذا القطاع الذي ظل لقرون عديدة في منأى عن هذه الأطماع.

إن حجة أن التكنولوجيات الحديثة في مجال الاتصال تواجه مقاومة من قبل التعليم العام التقليدي، أو التعليم المدرسي القائم على الأستاذ أو المعلم والمقرر لا سند لها في الواقع، فالتكنولوجيا مهما ارتفعت، فلابد أن تظل أداة للتربية وتابعة لها وليس العكس.

وعليه، فإن التلفزيون إذا استخدم الإستخدام العقلاني والراشد لا يمكن أن يكون سوى أداة مكملة للمدرسة في مجال التربية والتعليم ولن يتحول أبدا إلى مدرسة موازية إذا تم مراعاة في العلاقة بين التلفزيون والمدرسة والطفل الجوانب الآتية سواء داخل المدرسة أو خارجها:

1- ضرورة إدماج الوسائل السمعية البصرية وخاصة التلفزيون في البيئة التعليمية سواء كأداة بيداغوجية مساعدة، أو كأداة مكملة لما تقدمه المدرسة من معارف وتعليم من خلال البرامج الموجهة للطفل سواء كانت ترفيهية أو تثقيفية وتعليمية.

2- الابتعاد عن الطابع السلبي للإعلام الأحادي الاتجاه، والتوجه نحو تلفزيون تفاعلي Interactive TV الذي يسمح بالتفاعل بين المرسل والمستقبل.

3- الاهتمام بالتخطيط والإعداد الجيد للبرامج التلفزيونية الموجهة للطفل لأن ذلك يساعد على خلق حالة من الدافعية في حياة الأطفال. وتدفعهم أكثر للمزيد من الاستكشاف وتشجعهم على التعلم الاستقلالي.

4- التنسيق في إعداد البرامج التلفزيونية سواء داخل المدرسة أو خارجها بين القائمين بالإعلام والتربويين قصد تحقيق نتائج أفضل.

5- الاهتمام بالبحوث والدراسات التي تتعرض لبعض التجارب والوقوف على الجوانب الإيجابية والسلبية فيها قصد الاستفادة من أية محاولة أو برنامج في المستقبل.

6- تنظيم وترشيد عملية التعرض من قبل الأطفال للتلفزيون بالشكل الذي يساعد على التحصيل الدراسي الجيد وتنمية القدرات المعرفية للطفل، وتنمية وعي الطفل بكون التلفزيون وسيلة للتثقيف والمعرفة وليست للتسلية والترفيه فقط.

إذن هذه بعض الملاحظات التي وددنا تقديمها في هذه الورقة أو المداخلة، وقد يسمح النقاش بتبادل الآراء في إثراء جوانب منها قد تكون محل دراسة وتعمق أكثر في مناسبات قادمة.